

## التحرير والتنوير

واشتعل المبيض في مسودة ... مثل اشتعال النار في جزل الغضا ولكنه خليق بأن يكون مضرب قولهم في المثل : ماء ولا كصدي .

والشيب : بياض الشعر . ويعرض للشعر البياض بسبب نقصان المادة التي تعطي اللون الأصلي للشعر ونقصانها بسبب كبر السن غالبا فلذلك كان الشيب علامة على الكبر وقد يبيض الشعر من مرض .

وجملة ( ولم أكن بدعائك رب شقيا ) معترضة بين الجمل التمهيدية . والباء في قوله ( بدعائك ) للمصاحبة .

السعي وضلال المأمول من الحرمان هي أي السعادة ضد وهي الشقوة أصابته الذي : والشقي A E . وأطلق نفي الشقاوة والمراد حصول ضدها وهو السعادة على طريق الكناية إذ لا واسطة بينهما عرفا .

ومثل هذا التركيب جرى في كلامهم مجري المثل في حصول السعادة من شيء . ونظيره قوله تعالى في هذه السورة في قصة إبراهيم ( عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا ) أي عسى أن أكون سعيدا أي مستجاب الدعوة . وفي حديث أبي هريرة عن النبي A فيما يرويه عن ربه في شأن الذين يذكون □ ومن جالسهم " هم الجلساء لا يشقي بهم جلسهم " أي يسعد معهم . وقال بعض الشعراء لم نعرف اسمه وهو إسلامي : .

جليس فقعا بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس أي يسعد به جليسه .

والمعنى : لم أكن فيما دعوتك من قبل مردود منك أي أنه قد عهد من □ الاستجابة كلما دعاه .

وهذا تمهيد للإجابة من طريق غير طريق التمهيد الذي في الجمل المصاحبة له بل طريق الحث على استمرار جميل صنع □ معه وتوسل إليه بما سلف له معه من الاستجابة .

روي أن محتاجا سأل حاتما الطائي أو معن بن زائدة قائلا : " أنا الذي أحسنت إلي يوم كذا " فقال : " مرحبا بمن توسل بنا إلينا " .

وجملة ( وإني خفت الموالي من ورائي ) عطف على جملة ( واشتعل الرأس شيبا ) أي قاربت الوفاة وخفت الموالي من بعدي .

وما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي صالح عن النبي A مرسلا أنه قال : " يرحم □ زكريا ما كان عليه من وراثته ماله " فلعله خشي سوء معرفتهم بما خلفه من الآثار الدينية والعلمية . وتلك أعلق يعز على المؤمن تلاشيها ولذلك قال ( يرثني ويرث من آل يعقوب ) فإن

نفوس الأنبياء لا تطمح إلا لمعالي الأمور ومصالح الدين وما سوى ذلك فهو تبع .  
فقوله ( يرثني ) يعني به وراثته ماله . ويؤيده ما أخرجه عبد الرزاق عن قتادة عن الحسن  
أن النبي A قال : يرحم الله زكريا ما كان عليه من وراثته ماله " .  
والطواهر تؤذن بأن الأنبياء كانوا يورثون قال تعالى ( وورث سليمان داود ) . وأما قول  
النبي A : " نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة " فإنما يريد به رسول الله ﷺ نفسه كما  
حمله عليه عمر في حديثه مع العباس وعلي في صحيح البخاري إذ قال عمر : " يريد رسول الله ﷺ  
بذلك نفسه " . فيكون ذلك من خصوصيات محمد A فإن كان ذلك حكما سابقا كان مراد زكريا إرث  
آثار النبوة خاصة من الكتب المقدسة وتقاليده عليها .  
والموالي : العصبية وأقرب القرابة جمع مولي بمعنى الولي .  
ومعنى ( من وراثي ) من بعدي فإن الوراثة يطلق ويراد به ما بعد الشيء . كما قال النابغة  
:

" وليس وراء اله للمرء مطلب أي بعد الله ﷻ . فمعنى ( من وراثي ) من بعد حياتي .  
و ( من وراثي ) في موضع الصفة ل ( الموالي ) أو الحال .  
وامرأة زكريا اسمها أليصابات من نسل هارون أخي موسى فهي من سبط لاوي .  
والعافر : الأنثى التي لا تلد فهو وصف خاص بالمرأة .  
ولذلك جرد من علامة التأنيث إذ لا لبس . ومصدره : العقر بفتح العين وضمها مع سكون القاف  
 . وأتى بفعل ( كان ) للدلالة على أن العقر متمكن منها وثابت لها فلذلك حرم من الولد  
منها .

ومعنى ( من لدنك ) أنه من عند الله ﷻ عندية خاصة لأن المتكلم يعلم أن كل شيء من عند الله ﷻ  
بتقديره وخلق الأسباب ومسبباتها تبعا لخلقها فلما قال " من عندك " دل على أنه سأل وليا  
غير جار أمره على المعتاد من إيجاد الأولاد لانعدام الأسباب المعتادة فتكون هبته كرامة له  
 .

ويتعلق ( لي ) و ( من لدنك ) بفعل ( هب ) . وإنما قدم ( لي ) على ( من لدنك ) لأنه  
الأهم من غرض الداعي وهو غرض خاص يقدم على الغرض العام .  
و ( يرثني ) قرأه الجمهور بالرفع على الصفة ل ( وليا )